فكر مالك بن نبي والمجتمع الملايوي المسلم في العصر الحديث*

عثمان شهاب**

Abstrak

Artikel ini cuba menganalisis pandangan dan pemikiran Malik Bennabi tentang konsep masyarakat berperadaban. Ia juga cuba meneliti dan mengkaji realiti semasa masyarakat Melayu dari perspektif pemikiran dan fahaman Malik Bennabi tentang konsep masyarakat berperadaban di atas. Artikel ini juga cuba membuktikan tentang apa yang dijangkakan oleh Malik Bennabi lima puluh tahun yang lalu bahawa peradaban Islam nanti akan berpusat di Alam Melayu merupakan suatu harapan dan kemungkinan, dan bukanlah suatu perkara yang mustahil.

تحاول هذه الورقة تحليل فكر مالك بن نبي لقضايا المجتمع الحضاري وتشخيص المجتمع الملايوي الإسلاميّ المعاصر من منظور ذلك المجتمع الحضاري "البن نبيّ". وتنقسم الورقة إلى مبحثين: ويحاول المبحث الأول

---

* قدم هذا البحث إلى المؤتمر الدولي لفكر مالك بن نبي الجزائر– الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية في ١٨–٢٠ أكتوبر ٢٠٠٣.

** الدكتور عثمان شهاب كان مدرسا بقسم معارف الوحي والعلوم الإنسانية، المركز الإعدادي بالجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا. وهو يعمل الآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية بجاكرتا، إندونيسيا.

منهما تحليل فكر مالك بن نبي للمجتمع الحضاري ويتناول المبحث النقاط التالية؛ تعريف المجتمع الحضاري، الدين ودوره في هذا المجتمع الحضاري، الجانب السياسي والاقتصادي لهذا المجتمع، الجانب الثقافي بعناصره الثلاثة؛ الذوق الجمالي، المنطق العملي والصناعة، ويحاول المبحث الثاني تشخيص المجتمع الملايوي المسلم في العصر الحديث من منظور ذلك المجتمع الحضاري الذى يرسمه الأستاذ مالك بن نبي. ويتناول المبحث؛ لمحة عن تاريخ أسلمة العالم الملايوي، والمجتمع الملايوي الإسلامي المعاصر ومشكلاته.

المبحث الأول: فكر مالك بن نبي عن المجتمع الحضاري

١ – تعريف المجتمع الحضاري

يرى ملك بن نبي أن مصطلح "مجتمع" في معناه البسيط يعني تجمع أفراد ذوي عادات متحدة، يعيشون في ظلّ قوانين واحدة ولهم فيما بينهم مصالح مشتركة[١]. واعتمادا على ما استنبطه علماء الكيمياء من أن مجموعة الذرات ليست مجرد كمية من المادة بل هي تنظيم هذه المادة طبقا لنظام معين، يذهب مالك بن نبيّ بأن المجتمع ليس مجرد مجموعة من الأفراد، بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبقا لنظام معين. وهذا النظام في خطوطه العريضة يقوم على عناصر ثلاثة وهي: حركة يتسم بها المجتمع الإنساني؛ وإنتاج لأسباب هذه الحركة؛ وتحديد لاتجاهها [٢].

وعلى هذا الأساس يعرف مالك بن نبي المجتمع تعريفا منطقيا بأنه الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير مع علمها بالهدف الذى تسعى إليه من وراء هذا التغيير[٣]. فالجماعة الإنسانية تكسب صفة "المجتمع" عندما تشرع في الحركة، أي عندما تبدأ في تغيير

---

(١) مالك بن نبيّ، **ميلاد مجتمع**، ترجمة عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦م)، ص١٤.

(٢) **المرجع نفسه**، ص١٧.

(٣) **المرجع نفسه**، و الصفحة نفسها.

نفسها من أجل الوصول إلى غايتها[٤]. و"المجتمع الحضاري" هو ذلك المجتمع الذى يسير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية والوصول إلى ما يطلق عليه بن نبي اسم الحضارة. وهذا المجتمع الحضاري عند بن نبيّ، كما يفهم من تعريفه للحضارة، هو ذلك المجتمع القادرعلى أن يوفر لكل عضو منه جميع الضمانات الاجتماعية المعنوية والمادية اللازمة لتطوره[٥]. وهو كذلك المجتمع الإسلامي الحي الديناميكي الكائن في عصر الحضارة.

٢- الدين ودوره في المجتمع الحضاري

لا يرى بن نبيّ الدين نسقا من الأفكار الغيبية فقط، ولا يقصره على الدين السماوي فقط. وإنما الدين في نظره هو كل فكرة تقدم معبودا ووعدا أعلى ابتداء من الإسلام الموحد إلى أحط الوثنيات[٦]. وللدين في فكر مالك بن نبي دور مهم في المجتمع، ولهذا الدور الأساسي للدين في المجتمع اعتبر مالك بن نبي الدين بأنه مركب الحضارة[٧]. ويرى بأن الفكرة الدينية هي التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ[٨]. ويمكن تلخيص رأي بن نبيّ عن هذا الدور الاجتماعي للدين في النقاط التالية:

أولا: إن الدين يتدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد وفي تنظيم الطاقة الحيوية الواقعة في تصرف "أنا الفرد" ثم توجيه هذه الطاقة تبعا لمقتضيات النشاط الخاص بهذه "الأنا" داخل المجتمع، وتبعا

---

(٤) **المرجع نفسه**، ص١٨.

(٥) مالك بن نبيّ، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ترجمة بسام بركة و أحمد شبو، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٨)، ص٤٢.

(٦) مالك بن نبيّ، **الظاهرة القرآنية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٤)، ص٣٠٠.

(٧) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧)، ص٥٠.

(٨) **المرجع نفسه**، والصفحة نفسه.

للنشاط المشترك الذى يؤديه المجتمع في التاريخ[٩]. والدين في هذا الدور يعمل في صورة مبادئ موجهة تنطبع في ذاتية "الأنا" لتصبح دوافع وقواعد للسلوك، وفي نفس الوقت تتجلى في صورة تحريم مانع في بعض الظروف المرضية[١٠]. فتأثير الدين على "الأنا" إذن تأثير عام سواءا كان ذلك لتحريم عناصر الشخصية الأساسية، أم كان لأنه في بعض الحالات الشاذة يؤدى إلى نشأة جوانب مرضية إذا بدا هذا التأثير في صورة يتحلل فيها العنصر الديني أو يفسد. فالعنصر الديني – عامة – فضلا عن أنه يغذى الجذور النفسية العامة، يتدخل مباشرة في الشخصية التي تكون "الأنا" الواعية في الفرد وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغرائز في خدمة هذه "الأنا"[١١].

ثانيا: إن الدين يقوم بالضبط، ببناء عالم الأشخاص الذي لا يتصور بدونه عالم الأشياء ولا عالم المفاهيم[١٢]. والدين في هذا الدور ينشأ ويقوِّي عملية شبكة العلاقات الاجتماعية من خلال مبدأين:

الأول: مبدأ التعاون وهو المحرِّك لعملية التماسك الاجتماعي، فالدين يشجع أفراد المجتمع تقديم الأشياء أوالمساعدات أو الجهود كواجب خيري كما عبر عنه القرآن الكريم: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾[١٣]؛

والثاني: مبدأ المؤاخاة، وهو جمع لعناصر المجتمع في توثيق اجتماعي. ويميز بن نبيّ بين مفهوم "المؤاخاة" و"الأخوة"؛ فالأول يقوم على فعل ديناميكي تربوي مفاده الصدق والخير والتفاعل

---

(٩) ملك بن نبيّ، **ميلاد المجتمع**، ص٧٤.

(١٠) **المرجع نفسه**، ص٧١.

(١١) **المرجع نفسه**، ص٧٢.

(١٢) مالك بن نبيّ، **تأملات**، (دمش: دار الفكر، ١٩٩١م)، ص١٤٨.

(١٣) **سورة المائدة**، ٥: ٢.

الحقيقي، بينما الثاني مجرد عنوان أو شعور متحجر في نطاق الأدبيات[١٤].

ثالثا: إن الدين كمبدأ أخلاقي يكون عنصرا مهما لفعالية الثقافة. ولما كانت شبكة الصلات الثقافية عبارة عن تعبير عن العلاقات الشخصية في مستوى معين، فإن هذه الشبكة الثقافية لا يمكنها أن تتكون دون مبدأ أخلاقي. ففعالية المجتمعات تزيد أو تنقص بقدر ما يزيد فيها تأثير المبدأ الأخلاقي، وعلى هذا يرى بن نبي بأن شبكة الصلات الثقافية تحتل حتما في بلد ما إذا احتلّ فيه المبدأ الأخلاقي[١٥]. فالثقافة في رأي بن نبي لا تستطيع أن تكون أسلوب الحياة في مجتمع معين إلا إذا اشتملت على عنصر يجعل كل فرد مرتبطا بهذا الأسلوب، فلا يحدث فيه نشوزا بسلوكه الخاص، وهذا لا بد أن يكون خلقيا أي ملتزما بالمبدأ الأخلاقي[١٦]. والدين كمبدأ أخلاقي للثقافة لا يحدد الصلات داخل عالم الأشخاص فقط، فيغذي فيه نـــزعته الإنسانية، بل يبعث بإشعاعه إلى الخارج لتشمل نـــزعته الإنسانية أحيانا عالم الحيوان الذى يحيى مع الإنسان[١٧].

٣- الجانب الاقتصادي

يريد بن نبي من هذا المجتمع الحضاري أن يحظى بنموّ ورقيّ في الجانب الاقتصادي، ويتمتع بذلك كل عضو فيه بجميع الضمانات الاجتماعية المادية اللازمة لتطوره. فهذا المجتمع يقوم على مبادئ عامة تهدف إلى توزيع الثروة حتى لا تصبح دولة بين أيدي المترفين، وإلى تحريم الربا حتى لا تكون لطبقة معينة أو لبعض أفراد معين السلطة المطلقة على الاقتصاد والسلطة التامة للاحتكار على التجارة والتكتل المالي على الصناعة بواسطة البنك الذى يحقق تركيز رأس المال، أي سلطة المال، إلى أكبر درجة

---

(١٤) مالك بن نبيّ، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة: عبد الصبور شاهين (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦)، ص١٤٨.

(١٥) مالك بن نبيّ، **تأملات**، ص١٤٨.

(١٦) **المرجع نفسه**، والصفحة نفسها.

(١٧) **المرجع نفسه**، ص١٤٩.

ممكنة. فلا يقع أيّ عضو من هذا المجتمع في وضع العبد الذى تستعبده الأوضاع الاقتصادية أو أن يصبح رجلا مستبدا بيده صولجان الذهب كما يعبر عنه بن نبي[١٨].

وفي رأي بن نبي أن العالم الإسلامي يعاني منذ أمد بعيد كسادا للطاقات الاجتماعية ويطلق عليه اسم "التخلف". وهذا العالم ليس بيده أن يغير أوضاعه الاقتصادية إلا بقدر ما يطبق خطة تنمية تفتق أبعاده النفسية، وتخلصه من تركة عصر ما بعد الموحّدين من خرافاتها، وعقدها ومسلماتها الوهمية[١٩]. فالنهضة الاقتصادية يجب أن تتضمن هذا الجانب التربوي الذى يجعل من الإنسان القيمة الاقتصادية الأولى، كوسيلة تتحقق بها خطة التنمية وكنقطة التلاقي تلتقي عندها كل الخطوط الرئيسية في البرامج المعروضة للإنجاز[٢٠]. إن عملية التوزيع هي التي تطبع الحياة الاقتصادية وتميز أسلوبها الخاص لأنها تحدد هدف الإنتاج من ناحية ورفعة الاستهلاك، بحيث تنشأ بواسطتها حركة التفاعل بين المنتجين والمستهلكين. فهذا التفاعل هو الذى يسميه بن نبي بالديناميكا الاقتصادية[٢١].

ويرسم بن نبي مبدئيا شروط الديناميكا الاقتصادية في صورة مسلمتين: لقمة العيش حق لكل فم والعمل واجب على كل ساعد. فالمسلمة الأولى يفرضها الاختيار لمبدأ معين يلتزمه المجتمع ويسجله في دستوره كأساس لعقده الاجتماعي، أما المسلمة الثانية فليست اختيارا بل هي ضرورة تفرضها المسلمة الأولى كشرط لاستمرار التفاعل بين الإنتاج والاستهلاك تفاعلا جدليا[٢٢]. ومسلمة "لقمة العيش لكل فم" لا تقدر لمجرد غاية أخلاقية بل كنقطة انطلاق فنية وأخلاقية معا يقرها ضمنا

---

(١٨) مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، (دمشق: دار الفكر، ١٩٩١)، ص١٦١.

(١٩) مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦)، ص٧٩.

(٢٠) **المرجع نفسه**، والصفحة نفسها.

(٢١) **المرجع نفسه**، ص٨١.

(٢٢) **المرجع نفسه**، ص٨١-٨٢.

الإسلام في مبدأ الزكاة وتفرضها اعتبارات اقتصادية استثنائية ترمى إلى خلق جوّ اجتماعي تنمو وتتحرك فيه كل الطاقات في عمل مشترك من شأنه أن يغير الأوضاع النفسية في الفرد وملامح الحياة حوله بحيث يكون العمل المشترك أولا وقبل كل شيء المدرسة التي تعلم أن الإرادة إذا حركت الإنسان تجعله يكشف الإمكان.

فالمجتمع الإسلامي متى تكونت لديه إرادة واضحة للتخلص من التخلف سيجد أولا في المجال النظري أن اختياره ليس محدودا بالرأسمالية ولا الماركسية وأنه بالتالى يستطيع التعويض للاستثمار المالي المفقود لديه بالاستثمار الاجتماعي الموجود على أساس المسلمتين المعروضتين سواء كان ذلك في نطاق مخطط مرحلي خاص بظروف الإقلاع أم كان المخطط يعني أيضا الاستمرار، إذا ما رأى المجتمع مصلحته في ذلك[٢٣]، والمجتمع الإسلامي أجدر من يحقق له وللإنسانية التجربة التي تعيد إلى عالم الاقتصاد أخلاقيته ويتلافى بذلك الانحرافات الإباحية التي تورطت فيها الرأسمالية، كما ينجو من ورطة الماركسية المادية التي سلبت الإنسان ما يسيره عن الآلات والأشياء.

٤ – الجانب السياسي

أما من الجانب السياسي فيتمتع كل فرد من أعضاء هذا المجتمع الحضاري بحقوقه وحرياته والضمانات اللازمة له من كل تعدّ من جانب الحكم ويتمتع بكل الضمانات اللازمة في الديمقراطية.

ويرى بن نبي أن الإسلام يمنح الإنسان قيمة تفوق كل القيم السياسية، لأنها القيمة التي يمنحها الله له في القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ ﴾[٢٤]. فهذا التكريم يكون الشرط الأساسي للتعبير اللازمة في نفس الفرد طبقا للشعور الديمقراطي بالنسبة للأنا أم للآخرين. والآية التي تنص على هذا التكريم تبدو وكأنها نزلت

---

[٢٣] **المرجع نفسه**، ص٤٤– ٤٥.

[٢٤] **سورة الإسراء**، ١٧: ٧٠.

لتصدير دستور ديمقراطي يمتاز عن كل النماذج الديمقراطية الأخرى دون أن تعبر عنه نصوص قانونية محدودة. فنظرة النموذج الإسلامي إلى الإنسان هي نظرة إلى التحكيم الذى وضعه الله فيه، أي نظرة إلى الجانب اللاهوتي فيه. فالتقويم الإسلامي يضفي على الإنسان شيئا من القداسة ترفع قيمته فوق كل قيمة تعطيها له النماذج المدنية[٢٥]. فالإنسان الذى يحمل بين جنبيه الشعور بتكريم الله له يشعر بوزن هذا التكريم في تقديره لنفسه وفي تقديره للآخرين، لأن الدوافع و النـــزعات السلبية المنافية للشعور الديمقراطي تبددت في نفسه. فالمسلم محفوظ من النـــزعات المنافية للشعور الديمقراطي الموجودة أو المدسوسة في طينة البشر بما وضع الله في نفسه من تكريم مقدس وما جعل عن يمينه وشماله من معالم ترشد طريقه حتى لا يقع في وحل العبودية أو وحل الاستعباد[٢٦].

٥- الجانب الثقافي

ولهذا المجتمع الحضاري ثقافة قادرة في مستواها الفردي على وضع أفعال كل عضو لهذا المجتمع وإنجازاته في إطار التاريخ وقادرة في مستواها الاجتماعي على توليد ديناميكية اجتماعية. وذلك لأن هذه الثقافة تخضع لمبادئ الفعالية التالية وهي:

الأول: الذوق الجمالي

يعتبر بن نبي ذوق الجمال من أهم العناصر الديناميكية في الثقافة، لأنه يحرك الهمم إلى ما هو أبعد من مجرد المصلحة، وهو في الوقت نفسه يحقق شرطا من أهم شروط الفعالية[٢٧]. و"الجمال هو الذى تتكون فيه آية الحضارة، فينبغي أن نلاحظه في أنفسنا، كما ينبغي أن نتمثله في

---

(٢٥) مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، ص١٤٦.

(٢٦) **المرجع نفسه**، ص١٤٦-١٤٧.

(٢٧) مالك بن نبي، **تأملات**، ص١٥٠.

شوارعنا وبيوتنا ومقاهينا".[٢٨] والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "... إنّ الله جميل يحب الجمال..."[٢٩] وللجمال أهمية اجتماعية هامة، لأن الصورة القبيحة لا يمكن أن توحي بالخيال الجميل، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح؛ فالمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة لابد أن يظهر أثر هذه الصورة في أفكاره وأعماله ومساعيه. فالجمال الموجود في الإطار الذي يشتمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال يوحي للإنسان بأفكاره، و يطبعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل و يوحي في نفسه الإحسان فيالعمل[٣٠].

الثاني: المنطق العملي

يقصد بن نبي بالمنطق العملي استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة، وهو "العقل التطبيقي" الذى يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه[٣١] والذى يجسد "الفعالية" في النشاط سواء على صعيد الفكر أو العمل. و"العقل التطبيقي" بهذا المعنى هو عكس العقل المجرد[٣٢] الذى يواجه المشاكل بكثرة الكلام والكسل والشلل وضياع الوقت وعدم الفاعلية. والتاريخ في رأي بن نبي عبارة عن عدد معين من الحركات والأفكار[٣٣]. فمبدأ المنطق العملي يفعِّل نشاط هذه الحركات والأفكار. والمجتمع الذى يسجل يوميا أكثر عدد ممكن من الحركات والأفكار يكوِّن لنفسه محصولا اجتماعيا أكبر[٣٤]. فمبدأ المنطق العملي هو من أهم شروط

---

(٢٨) مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٩)، ص٨٥.

(٢٩) رواه مسلم ١٩٣/١: الحديث ١٤٣ وأحمد ٣٩٩/١، واللفظ لمسلم.

(٣٠) مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ص٨٢.

(٣١) **المرجع نفسه**، ص٨٦.

(٣٢) مالك بن نبي، **فكرة الأفريقية الآسوية في ضوء مؤتمر باندونج**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨١)، ص١٩٣.

(٣٣) مالك بن نبي، **تأملات**، ص١٥٠.

(٣٤) **المرجع نفسه**، والصفحة نفسها.

الفعالية في الفرد والمجتمع، فهو يحدد فكرة تبلور فيما يخص الانتاج الصناعي والانتاج الاجتماعي.

الثالث: الصناعة

إن التطور المادي في هذا العصر يخضع في اتجاهاته وسرعته لتطور الصناعة أو التكنولوجيا. والصناعة أو التكنولوجيا هي كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم[٣٥]. والصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده، ولكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه،[٣٦] بل إنها علامة من علامات تطوره المادي. يرى بن نبي أن التطور الصناعي أو العلمي منوط بمجموعة شروط نفسية واجتماعية[٣٧] التي تساعد على تشجيع الروح العملية والتفكير العقلي وتوفير فرص الإبداع والابتكار العلمي والصناعي. وعلى هذا فأي مشروع توجيهي لتطوير الصناعة والتكنولوجيا يجب أن تراعى فيه تلك الظروف النفسية والاجتماعية.

المبحث الثاني: المجتمع الملايوي المعاصر من منظور فكر مالك بن نبي

١- لمحة عن تاريخ أسلمة العالم الملايوي

العالم الملايوي عبارة عن أرخبيل عظيم يتكون من مجموعة كبيرة من الجزر. وفي التاريخ القديم كان السكان في جزر الملايو يتجهون في عبادتهم اتجاها بدائيا كأكثر سكان العالم آنذاك. ثم وصل الهنود إلى العالم الملايوي ومعهم ديانتهم البوذية ثم الهندوسية منذ القرن الأول الميلادي وأصبح لهم طوال سبعة قرون ممالك كبيرة كما تمت لهم السيطرة على جزر الملايو والمناطق المجاورة.

---

(٣٥) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ص١٠٤، وأيضا له، **ومشكلة الثقافة**، ص٨٨.

(٣٦) **المرجع السابق**، والصفحة نفسها.

(٣٧) مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، ص١٨٥.

ولما جاء الإسلام إلى هذه الجزر استقبله أهلها ودخلوا فيه أفواجا. ولقد أثبتت المصادر الموجودة والوثائق المعتمدة بما لا يدع مجالا للشك؛ أن بداية دخول الإسلام إلى العالم الملايوي كان في القرن الأول الهجري أو ما بين القرن السابع والثامن من الميلاد وكان دخوله من الجزيرة العربية مباشرة؛ وكان القائمون بالدعوة الإسلامية في مراحلها الأولى هم من التجار إلى جانب كونهم دعاة دين؛ وكان انتشار الإسلام بالعالم الملايوي بوسائل الإقناع السلمية والموعظة الحسنة، عن طريق التسامح ورحابة الصدر لا عن طريق القوة[٣٨]. فالإسلام قد دخل في جزرهذا العالم الملايوي منذ أربعة عشر قرنا سلميا. وقد عبر عن ذلك عباس محمود العقاد في كلماته الموجزة الجميلة "ولعل هذه الجزر أصلح مكان لتقدير الحقائق عن سر انتشار الإسلام بين الأمم التي كانت تدين بغيره قبل وصوله إليها. ففي كل موضع فيها تصحيح لأوهام من يزعمون أنه دين ينتشر بالسيف ولا ينتشر بغيره، وفي كل موضع دليل من الواقع على فعل القدوة الحسنة في انتشاره بغير عنف بل بغير اجتهاد في الدعوة أكثر الأحيان"[٣٩].

فتح الإسلام آفاقا جديدة للعالم الملايوي وأصبح دينا رسميا لأغلب المجتمع الملايوي، وأصبح بعد ذلك مركبا لحضارة العالم الملايوي. حل هذا الدين الإسلامي محل الديانات الوثنية، وقامت في هذا الأرخبيل ممالك تستند إلى الإسلام وتلاشت الممالك البوذية والهندوسية. ومن بين تلك الممالك الإسلامية: مملكة "باساي" (١٢٩٧-١٥٢١)، ومملكة "أتشيه دار السلام" (١٤٩٧-١٩٠٣) بسومطرة، ومملكة "ديماق" (١٤٧٨-١٥٤٦)، ثم مملكة "مترام" (١٥٧٥-١٧٥٧) في جاوا، والممالك الإسلامية في "سولاويسي"، وجزيرة "كلمنتان"، وجزر "مالوكو" في

---

(٣٨) انظر:
K.H.O. Gadjahnata, et, al, (ed) *Masuk dan Berkembangnya Islam di Sumatra Selatan*, (Jakarta: UI Press, 1986), p. v-vi.

(٣٩) عباس محمود العقاد، **الإسلام في القرن العشرين**، (بيروت: دار الكتب اللبناني، ١٩٧٤)، ص٢٧٧.

الطرف الأقصى لإندونيسيا، و مملكة "مالاكا" (١٤٠٠-١٥١١) في ماليزيا ومملكة "فطاني" (١٤٠٧-١٧٨٥) بجنوب تيلاند. وهو ما يعكس فترة النشاط في شطره الثاني من محور طنجة – جاكرتا.

ثم جاء الاستعمار الغربي في القرن السادس عشر، فاستعمرت هولندا، وإنجلترا، والبرتغال العالم الملايوي لمدة ثلاثة قرون وأكثر. والاستعمار الغربي كما في العالم الإسلامي الآخر، كعادته تدخل تدخلا مباشرا في جميع تفاصيل حياة المجتمع الملايوي حتى الدينية منها. فأحدق الاستعمار بحياة المسلمين الملايويين من كل جانب ووجهها توجيها ماكرا و لم يغفل في ذلك أتفه الظروف وأدق التفاصيل. وهذا الاستعمار – بهذه الصورة – كما يراه بن نبي، يعدّ عنصرا جوهريا في فوضى العالم الإسلامي، فهو لا يتدخل فقط بمقتضى العلاقة المباشرة بين الحاكم والمحكوم وبين المستعمِر والمستعمَر، وإنما يتدخل أيضا بصورة خفية في علاقات المسلمين بعضهم ببعض[٤٠]، فأفسد الاستعمار العالم الملايوي وجعل أعزة أهله أذلة. فمن منظور فكر مالك بن نبي، فإن سبب الاستعمار الغربي على العالم الإسلامي الملايوي والعالم الإسلامي عامة يرجع إلى "القابلية للاستعمار" أي سبب داخلي ناتج عن نفسية المجتمع الملايوي وأذواقه وأفكاره وعاداته العاجزة[٤١]. وهو السبب الداخلي الذى اعتراه العالم الإسلامي كله، والذى ورثه من عصر ما بعد الموحدين والذى جعل العالم الإسلامي قابلا للاستعمار قبل أن يُستعمر.

٢– المجتمع الملايوي ومشكلاته

يعيش المجتمع الملايوي – ما بعد الاستعمار – في عدد من البلاد، وهم أغلبية في إندونيسيا وفي ماليزيا، و بروني دار السلام، بينما كانوا أقلية في

---

(٤٠) مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ص١٠٩.

(٤١) **المرجع نفسه**، ص٩٢-٩٥.

تيلاند وفي فلبين وسنغافورة[٤٢]. وسواء كانوا أغلبية أم أقلية فإنهم يعيشون مع معتنقي الأديان الأخرى منها البوذية والهندوسية والنصرانية. ففكر مالك بن نبي عن دور الدين الإسلامي والأديان الأخرى في تركيب الحضارة هو اعتراف عن إمكانية ومهمة التعايش والحوار بين أعضاء الأديان لأجل العمل المشترك، مع الاعتقاد بأن الإسلام كدين الأغلبية لمجموع السكان بالعالم الملايوي له استعداد أكبر ودور ومسؤولية أكثر من الأديان والأيديولوجيات الأخرى لتركيب حضارة العالم الملايوي بل وحتى الحضارة العالمية. و"هذا الإسلام هو الجسر الذي يصل ما بين الأجناس والثقافات، فهو عامل بلورة، وعنصر جوهري إذا ما أردنا اليوم تكوين "مركب" حضارة أفروآسيوية، وغدا تكوين حضارة عالمية"[٤٣].

وفي كتاباته فإن بن نبي لم يذكر البلاد الأخرى في العالم الملايوي غير إندونيسيا، ويرجع سبب ذلك إلى الاحتمالات التالية:

١) إن البلاد الأخرى في ذلك الوقت مازالت تحت الاستعمار[٤٤]؛
٢) إن العالم الملايوي معروف عند كثير من العرب باسم "جاوا"؛
٣) إن إندونيسيا شهدت تطورا بارزا سياسيا واقتصاديا أكثر من البلاد المجاورة خاصة في السنوات العشر الأولى بعد الاستقلال؛
٤) أن مالك بن نبي لم يفرق بين طبيعة الإنسان الإندونيسي والإنسان الملايوي من المناطق الأخرى، فحينما يذكر كلمة

---

(٤٢) يبلغ عدد سكان إندونيسيا: ٢١٣،٦٤ مليونا والمسلمون فيها ٩٠%، وسكان ماليزيا: ٢٣،٨ مليونا والمسلمون فيها ٦٠%، وسكان تيلاند ٦١،٢٤ مليونا والمسلمون فيها ٥،٣%، وسينغافورة: ٤،١٦ ملايين ١٥% منها مسلمون، وفلبين: ٨٠،١٥ مليونا والمسلمون فيها ٤،٦%، أما بروني فعدد سكانها: ٣٣٦٠٠٠ والمسلمون فيها ٦٧،٢%.

(٤٣) مالك بن نبي، **فكرة الأفريقية الآسوية في ضوء مؤتمر باندونج**، ص٢٢١.

(٤٤) تحررت ماليزيا من إنجلترا عام ١٩٥٧، واستقلت سنغافورة عن ماليزيا عام ١٩٦٥، وتحررت بروني من انجلترا عام ١٩٨٤، بينما تحررت إندونيسيا من هولندا عام ١٩٤٥.

الإندونيسي أو إنسان جاوا فقد يريد بها الإنسان الملايوي عموما.

واعتمادا لنظريته عن الدورة الحضارية وملاحظته عن الظواهر الجوهرية من أثر الحربين العالميتين يرى بن نبي بأن تركز العالم الإسلامي على شاطئ البحر الأبيض المتوسط سينتهي، وسيحدث انتقال حضاري من مرحلة البحر الأبيض المتوسط إلى مرحلة آسيوية، فيصبح "العالم الإسلامي يخضع لجاذبية جاكرتا كما يخضع لجاذبية القاهرة أو دمشق"[٤٥].

وفي رأيه، أن إندونيسيا بلاد توطن فيها الإسلام منذ عهد قريب نسبيا؛ يعني أنها بلاد جديد فتي يتفوق فيه جانب الفكر والعمل على جانب العلم التقليدي المغلق، وأن المجتمع الإندونيسي ليس مؤلفا من طبقات، بل هو شعبي على أوسع نطاق. والمسلم في إندونيسيا يمثل رجل ذى خصائص متمايزة: فإن الاحتلال الهولندي الذى امتد قرونا عديدة لم يترك في جزائر إندونيسيا عددا كافيا من المثقفين ولكن هذه القلة المثقفة البسيطة وهي المسئولة عند الكفاح ضد الفاقة العامة، وضد الأمية الشاملة، وضد التفريط والفوضى - هذه القلة تدل على ما تزخر به عبقرية الشعب الإندونيسي من استعدادات عجيبة. وفي نظر بن نبي أن الرجل في جاوا دقيق الحس، يحترم النظام والتنظيم، وهو مغرم بتعميق جزئيات الأشياء، فهو بذلك رجل مادي إيجابي ذو طاقة ضخمة، وهو أيضا رجل عملي ماهر في صنعته، ذواقة لشتى أنواع الفنون[٤٦].

خالف الأستاذ محمد المبارك نظرية مالك بن نبي - عن حاضر العالم الآسيوي وتمركز الإسلام فيه - واعتقد أن للعالم العربي مكانته ووظيفته الحيوية في قلب هذا العالم الإسلامي، وأنه أوتي القدرة على التوفيق بين القيم المادية والروحية، وإقامة التوازن بينهما، وأنه بحسن تفهمه للغة القرآن الكريم ورسالة الحياة الجامعة بين المقاييس المادية والروحية والجهد

---

(٤٥) مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ص١٨٢.

(٤٦) **المرجع نفسه**، ص١٨٥.

المادي والخلقي، لا يزال محط الأمل وموضع الرجاء. وفي رأيه أيضا، ولو أن العالم العربي لا يزال في وعيه لم يبلغ العمق المطلوب، ولا يزال شعور الاضطلاع بحمل عبء هذه الرسالة الحضارية الكبرى ضعيفا خافتا، ولكن القوى المحركة والبواعث النفسية والدفعات الإيمانية لا تسير بسرعة منتظمة، بل بوثبات تجاوز حساب الحاسبين[٤٧].

وقد وافق الأستاذ عبد الصبور شاهين رأي الأستاذ محمد المبارك وقال بأن مالك بن نبي أصدر رأيه عام ١٩٤٩، حينما كانت الدول العربية بعضها مستعمر والآخر تحت رقابة الاستعمار باستثناء سورية. فأما الآن وبعد هذه السنوات العشر الأخيرة فإنه قد لاحظ تطورات في العالم العربي، من الضروري مراعاتـــها لإصدار حكم جديد في الموضوع[٤٨].

إن بن نبي لم يغير نظريته حتى آخر لحظة حياته (١٩٧٣)، ومازال يتمسك برأيه وآماله لحاضر الإسلام بآسيا وتمركزه بإندونيسيا. غير أنه في كثير من كتاباته قد أعطى ملاحظات نقدية للخطوات التي اتخذها الحكومة الإندونيسية، في السنوات الأولى بعد التحرير، حينما لجأت إلى اختصاصي أجنبي، وهو الدكتور شاخت الألماني، واعتقد بن نبي أن مشروع الدكتور شاخت في إندونيسيا أخفق لأنه لم يأخذ بالاعتبار الطبيعية الخاصة لمفجر الطاقة الضروري في خطته، فاختلط عليه الأمر، إذ ساوى حالة إندونيسيا وحالة بلاده ألمانيا[٤٩]. فمشكلة إندونيسيا في رأي بن نبي تكمن في أنها من اختصاص عالم "البيولوجيا الاجتماعية" أكثر من "المهندس الاجتماعي"[٥٠]. فهي ككل مجتمع ناشئ يمر بمرحلة طفولة تفرض عليه سيطرة الأشياء أو عقلية الشيئية، لأن الأطفال يمرون بثلاث مراحل في طفولتهم، فهم يرتبطون أولا بعالم الأشياء قبل أن يدخلوا عالم الأشخاص وقبل أن يصلوا إلى عالم الأفكار الذى يمثل بالنسبة إليهم سن

---

(٤٧) الأستاذ محمد المبارك في تقديمه لـــ "**وجهة العالم الإسلامي**"، ص١٣.

(٤٨) عبد الصبور شاهين في "**وجهة العالم الإسلامي**"، هامش الكتاب، ص١٨٢.

(٤٩) مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار**، ص١١٧.

(٥٠) **المرجع نفسه**، ص١١٥.

الرشد، فإندونيسيا والمجتمع الإسلامي عامة في سن الأشياء، تسيطر عليها العقلية الشيئية، حتى إن الأفكار التي يدلى إليها بها الاختصاصي الأجنبي، تفقد قيمتها بصفتها أفكارا ترتبط بأصولها في نطاق نظرية تتيح تطويرها في سياق ظروف جديدة، بل تفقد المرونة مع الظروف أو إنها تصبح أفكارا متحجرة فقدت أشعاعها[٥١].

إن في رأي بن نبي عن طبيعة الإنسان الملايوي حقا وفي توقعه عن حاضر العالم الملايوي وتمركز الإسلام فيه رجاء. فعنصر الإنسان الإندونيسي والملايوي عموما بما فيه من مميزات التي يذكرها بن نبي، بجانب عنصر التراب الملايوي بما فيه من الموارد الطبيعية الهائلة، عنصر مهمّ لتركيب الحضارة. فتجربة هذا العالم الملايوي في الثمانينات والتسعينات توضح هذه الإرادة الحضارية وأن الإقلاع أو الدخول في حلقة التاريخ ليس بمستحيل. ففي الثمانينات والتسعينات شهدت البلاد في العالم الملايوي وفي جنوب شرقي آسيا عموما نشاطا وتطورا اقتصاديا أسرع وأكثر ديناميكيا من البلاد الأخرى، فتناولت ماليزيا وإندونيسيا وتيلاند لقب "نمور آسيا" باعتبارها بلاد صناعية جديدة بعد الصين وتيوان وكوريا الجنوبية، كما أصبحت سنغافورة بلدا متقدما في آسيا بعد اليابان[٥٢]. إلا أن هذا النشاط والتطور الاقتصادي توقف واندثر حين جاءته "الأزمة الاقتصادية" سنة ١٩٩٧، ثم حرب أمريكا ضد الأفغان والعراق، وظاهرة التطرف، وتلتها أزمة المرض الغامض (Severe Acute Respiratory Syndrome) SARS.

---

(٥١) مالك بن نبي، **تأملات**، ص٥٤.

(٥٢) كان نمو الاقتصاد لهذه البلاد في تلك الفترة ما بين ٨-١٠%، وكان الدخل السنوي لإندونيسيا ١١٠٠ دولار أمريكي، وماليزيا ٢٦٠٠ دولار أمريكي، وتيلاند ٢٩٦٠ بينما سنغافورة ٣٠٥٩٠ دولار أمريكي، مجلة *Time*، عدد: ١٧ يولي ٢٠٠٣ وغيرها.

إن نجاح هذه البلاد، ولو كان في فترة قصيرة، دليل بأن الإرادة الحضارية تصنع الإمكان الحضاري[٥٣] كما أن فشلها دليل بأن نجاح هذه البلاد في تلك الفترة لم يكن نجاحا حقيقيا بمعناه الحضاري. فلأجل إنجاز المشروع الحضاري الحقيقي يجب على العالم الملايوي مراعة شروط النهضة التالية:

أولا: إن بناء الحضارة لا يكون بتكديس أو شراء المنتجات الأخرى، لأنه يعود في النهاية إلى عملية مستحيلة كمّا وكيفا. فمن ناحية الكيف تنتج الاستحالة من أن أي حضارة لا يمكن أن تبيع جملة واحدة الأشياء التي تنتجها ومشتملات هذه الأشياء، أي أنها لا يمكن أن تبيع روحها وأفكارها وثرواتها الذاتية وأذواقها[٥٤]. فالأشياء قد تموت بصورة ما إذا ما قطعت عن وسطها الثقافي المعتاد، إذ أن لغتها خارج هذه الإطار تفقد معناها[٥٥]. أما من ناحية الكم فلن تكون الاستحالة فيها أقل، فإن العملية تحتاج إلى رأس المال الكبير لشراء العديد الهائل من الأشياء، وهي العملية التي تؤدى إلى "الحضارة الشيئية" وتكديس هذه الأشياء الحضارية[٥٦].

ومن البين فإن البلاد في العالم الملايوي منذ عهد ما بعد الاستقلال إلى اليوم تعمل على جمع وشراء منتجات الحضارة الأخرى أكثر من سعيها لبناء حضارة أصيلة، فهي تعتمد على البلاد الغربية خاصة في مشاريعها الاقتصادية والمالية، وهذا الاعتماد على الغير أنتج "الأزمة الاقتصادية" سنة ١٩٩٧ والتي هدمت كل الأبنية الأساسية لتلك البلاد، واضطرت أن تبنيها مرة أخرى من نقطة صفر. والعلاج الجذري لمشكلات التخلف – في رأي بن نبي – ليس في مواجهة هذه المشكلات بوسائل جاهزة أنتجتها حضارة أخرى، بل لا بد من مواجهتها بإنشاء

---

(٥٣) مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، ص٨٤.

(٥٤) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ص٤٧.

(٥٥) مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ص٥٥.

(٥٦) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ص٤٨.

حضارة، توظف الطاقات الاجتماعية الموجودة، مهما كانت الظروف، وتنشأ تدريجيا وسائلها الفنية بقدر ما تتخلص من رواسب ومعوقات ما قبل الحضارة[٥٧]. والصين – في رأي بن نبي – تقدمت اقتصاديا بسرعة مرموقة، لأنها طبقت منذ اللحظة الأولى في خطط تنميتها مبدأ الاتكال على الذات، أي بالتعبير الاقتصادي مبدأ الاستثمار الاجتماعي من الإنسان الصيني والتراب الصيني والزمن المتوفر في كل أرض. فإنها وضعت كل تبعيات التنمية على كاهل الشعب وعوضت بقدر الإمكان، الإمكان المالي بالإمكان الاجتماعي[٥٨].

ثانيا: وكما أن بناء الحضارة لا يكون بجمع منتجات مادية فإنه لا يمكن كذلك باتباع وممارسة الثقافات والعادات المستوردة من الحضارت الأخرى. وذلك لأن "حضارة ما هي نتائج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ ويبنى هذا المجتمع نطاقه الفكري طبقا للنموذج الأصلي لحضارته. إنه يتحدر في محيط ثقافي أصلي يحدد سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى"[٥٩]. فمشكلة مشروع الحضارة في العالم الإسلامي الملايوي هي مشكلة ممارسة وبناء الثقافات الغربية فيه، ويصور بن نبي هذه الظاهرة في قوله: "فالبرلمانات أيا كانت هي صورة طبق الأصل من البرلمان الإنجليزي أو الفرنسي أو الأمريكي وأي مشروع لوضع دستور ديمقراطي إنما يرجع إلى الطراز الغربي وعندما يتحدث المسلم مثلا عن الديمقراطية فإنه يستعير بداهة مفهومها غربيا"[٦٠] وتبنيه المباشر لطريقة الأكل واللباس والتعليم والحكم على الطريقة الغربية.

---

(٥٧) مالك بن نبي، **تأملات**، ص٦٢.

(٥٨) مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، ص٧٨.

(٥٩) مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار**، ص٤١.

(٦٠) مالك بن نبي، **فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ**، ص٢٥٦.

ثالثا: إن قضية البلاد في العالم الملايوي ليست في الحقيقة قضية قصور في الإمكان المادي، فلديها موارد هائلة، ولكنها قصور في الطاقات الاجتماعية، ومن أهم ظواهر قصور ومشكلات الطاقات الاجتماعية هي الآتية:

أ) مشكلة الأخلاق

ومن أهمها ظاهرة الرشوة. فهي ظاهرة عامة ومرض يعتريه إندونيسيا منذ عهد الرئيس سوهرتو (١٩٦٧-١٩٩٨). فالإحصاءات الدولية تضع إندونيسيا في المرتبة الثالثة كأسوأ البلاد في العالم رشوة بعد نيجريا وكامرون، وسنغافورة كأطهر البلاد في آيسا من الرشوة، وتضع ماليزيا في حالة أحسن بكثير من إندونيسيا[٦١]. فالرشوة هي ظاهرة واضحة من ظواهر قصور في التدبير والسياسة. فجهود الحكومة الماليزية لإصلاح وتطوير الإدارة والتدبير والخلاص من مشكلة الرشوة تمكن الدولة اليوم "الوثبة" إلى أبعد خطوة أمام إندونيسيا. لقد اتخذت الحكومة الماليزية خطوات مهمة لمحاربة الرشوة والقضاء عليها، ومن هذه الخطوات ما يلي:

١) قامت الحكومة بوضع وإصلاح القوانين ضد الرشوة وأعطت هذه القوانين القوة والقدرة على التحقيق والتفتيش والقبض والمحاكمة لمن يقدم الرشوة من موظفي الحكومة وغير الحكومة؛

٢) طبقت الحكومة قانون "من أين لك هذا" وأوجبت على الموظفين الكشف عما لديهم من الأموال كل فترة وآخر، كما قامت الحكومة في كثير من الحالات بدراسة أسباب الرشوة في دوائر الخدمات العامة والبحث عن طرق علاجها؛

٣) ومنذ أواخر الثمانينات قامت الحكومة - بالوسائل التربوية والإعلامية - بغرس الوعي لدى المجتمع حول أهمية ايجاد الحكومة الراشدة (good governance) وضرورة الابتعاد عن

---

(٦١) The Transparency International (www.transparency.de)

الرشوة، كما جعلت قضية الرشوة مادة في البرامج التدريبية والتعليمية؛

٤) ومع تطبيق القانون الجديد ضد الرشوة شكلت الحكومة سنة ١٩٩٨ اللجنة الخاصة الموحدة (Jawatankuasa Keutuhan Awam) على جميع مستويات الحكومة من أجل القضاء على الرشوة. فعلى المستوى الوطني يرأس هذه اللجنة رئيس الوزراء، وعلى المستوى الوزاري يرأسها الوزير، وعلى مستوى الأقسام يرأس هذه اللجنة رئيس القسم في كل منها؛

٥) وبهدف تجنب الرشوة رفعت الحكومة رواتب الموظفين، وأعطت الحكومة مكافآت مادية أخرى لتصبح راتب الموظف في ماليزيا اليوم من بين الرواتب العليا في المنطقة[٦٢].

ب) مشكلة المنطق العملي

يرى بن نبي أن المجتمع الإسلامي لم يكن له المنطق العملي في سلوكه و"نرى في حياتنا اليومية جانبا كثيرا من اللافاعلية في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهازلة"[٦٣]، وهذه الظاهرة اللافاعلية هي كذلك مشكلة المجتمع الملايوي المعاصر خصوصا إندونيسيا. فصفات الإنسان الإندونيسي أو الجاوي الإيجابية التي يذكرها بن نبي؛ بأنه "رجل عمل، ماهر في صنعته، ومغرم بتعميق جزئيات الأشياء" مازالت موجودة بـــ"القوة" ولكنها غائبة بـــ"الفعل". فعبارة "تعالى غدا" لا تزال موجودة في كثير من الخدمات الحكومية، وما زال هناك عمال يقرأون الجرائد في ساعات الشغل الرسمية، وعمال يتحدثون مع بعضهم البعض أو على الهاتف وأمامهم أناس ينتظرون، أو موظفو الحكومة يتأخرون حضور المكتب أو حضور الاجتماع.

---

(٦٢) انظر:

Abdullah Sanusi Ahmad et al., *The Malaysian Bureaucracy* (Kuala Lumpur: Pearson Hall, 2003), p. 138-139.

(٦٣) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ص١٠٦.

فهذه الظاهرة تقل في ماليزيا، فجهود الحكومة الماليزية في السنوات الأخيرة لإصلاح الإدارة والتدبير والسياسة تشهد نجاحا، وإن لم يكن كاملا، في إزالة ظواهر الكساد واللامبالاة واللافاعليـــة من المجتمع الماليزي. وقد جاهدت الحكومة الماليزية لإصلاح هذا الجانب بوسائل كثيرة؛ تربوية وإعلاميـــة ومادية. ومن بين هذه الوسائـــل هي وسيـــلة ISO (International Organization for Standardization) وهي عبارة عن المقياس الدولي للفعالية. ففي ماليزيا اليوم تتنافس الشركات والمنظمات والجامعات والخدمات الحكومية وغيرالحكومية للحصول على هذا المقياس الدولي للفعالية. أما المسلمون في سنغافورة فوضعهم في هذا الجانب أحسن من الماليزيين والإندونيسيين، ذلك لأنهم أقلية في مجتمع سنغافورة الصيني المتقدم، فالوعي بالأقلية يوحى فيهم روح المنافسة والجهد في العمل ويدفعهم لممارسة المنطق العملي الذى يمارسه جميع الصينيين بتلك البلاد الصغيرة.

ج) مشكلة الجمال

فالجمال عنصر مهم للثقافة وظاهرة من ظواهر الحضارة. "فالذوق الجميل الذى ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نـــزوعا إلى الإحسان في العمل، وتوخيا للكريم من العادات"[٦٤] مثل النظافة واحترام النظام واحترام الآخرين. فمميزات الإنسان الإندونيسي التي يذكرها بن نبي: "بأنه دقيق الحس، يحترم النظام والتنظيم، وأنه ذواقة لشتى أنواع الفنون" موجودة بالفعل في كل من المجتمع الإندونيسي والماليزي والسنغافوري. إلا أن هذه الصفات والمميزات تحتاج إلى أكثر توجيه تربوي كما أنها تحتاج إلى عنصر قانوني. فتجربة سنغافورة في النظافة والنظام لا بد أن تكون قدوة للبلاد الأخرى بالمنطقة. فالحكومة السنغافورية تهدد بفرض غرامات لمن لا يلتزم بقانون النظافة ونظم المدينة. فالسنغافوريون بوعيهم المرتفع عن أهمية النظافة يحافظون على نظافة

---

(٦٤) المرجع نفسه، ص٩٨.

مدينتهم، وشوارعها ومقاهيها، وقنواتها بل وحماماتها، كما أنهم يحترمون إشارات المرور وكباري العبور والنظم الأخرى بالشوارع.

وبعد،

فبعد هذه جولة سريعة لفكر مالك بن نبي حول المجتمع الحضاري، وبعد هذه محاولة متواضعة لتشخيص المجتمع الملايوي المسلم في عصر الحديث من منظور ذلك المجتمع الحضاري "البن نبي"، نستطيع أن نقول بأن توقع الأستاذ مالك بن نبي عن حاضر المجتمع الملايوي وتمركز الإسلام فيه لم يكن بعيدا عن الصواب بل فيه أمل ورجاء. والمشكلات التي يواجهها هذا المجتمع تحتاج إلى الإرادة الحضارية، وهذه الإرادة الحضارية هي التي ستصنع لهذا المجتمع والعالم الملايوي الإسلامي الإمكان والإنجاز الحضاري، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٦٥].

[٦٥] سورة الرعد، ١٣: ١١.